

لكتابه « وداعا ايتهنا الحرب وداعا ايها السلام ». معنى **الشهادة** ، لانه يأتي من داخل الممارسة النضالية في مرحلة محددة ، ليشهد على ولادة الاحلام وهي تمتزج بالدماء . ومعنى **المستقبل** الذي تشير اليه الكتابة من موقع الارتباط بالمكان ، عبر اكتشاف العلاقة الجديدة بين الزمان والمكان . حين يقتل المكان الزمن الصهيوني ، بينما يقوم المكان نفسه باحياء الزمن العربي .

### حول مسألة الشكل

لعل محمود درويش ، احد اكثر الشعراء والكتاب العرب ، ابتعدا عن مسألة الشكل . يأتيه الشكل عفوا او لنقل دون عناء شكلي خاص . هذا هو سبب ضالة المسافة بين شكله ومضمونه . المسافة تبقى ، فهي ليست مسألة شاعر دون آخر انها مسألة اكثر عمومية وتعقيدا . لكنها هنا تضيق ، لان الرؤيا لا تزال قادرة على ان تتشكل داخل اصالة الصوت الشعري . واذا كان درويش بدأ في شعره الاخر اعارة مسألة الشكل اهتماما خاصا ، فانه هنا ، لا يزال داخل الشكل وخارجه في آن . من هنا تصبح قراءة نثره هذا عملية تسمح بالكشف عن مكونات التجربة عارية . وتصبح الكتابة نمط حياة ، تتقدم في البحث عن خصوصيتها داخل النثر وليس خارجه . تأتي تجربة الشكل هنا في عدم اكتبالها باللغة الخصوصية . انها حصيلة لحظة انفعالية استطاعت ان تمتد تحت لهيب الصراع ، لتعطي النثر الشعري قدرة على التثكل ضمن خصوصية ، لا تسلب البنية الشعرية خصائصها ، بل تبدها بقدرة جديدة على الكشف والرؤيا .

هل يستكمل النثر تجربته ، ويقوم بالبحث عن شكله الخاص ، ضمن منطق البحث — التجاوز . أم لا تزال عند شاطئ الطم ، والطم يمتد كتابا يحمل الاحتمالات جميعها دفعة واحدة ؟ —

ليس الجواب غريبا . انه التجربة الفلسطينية الثورية ، التي تحفر في الحساسية العربية ، امتدادا جديدا ، ولا تزال أمام بداية التحولات .

يدخل الرمز ضمن معادلة البناء المثلثة الأبعاد التي استطاع بها درويش تجاوز تأملاته الشعرية السابقة « ... لاني أضعت الحرب ، السلام لا يولد الا من نهاية الحرب . ولا يسكن الحالة الواقعة بين حربين ، رجل اضاع سلاما ، ماذا يفعل ؟ والحرب هاجرت . او وضعت في زلزلة يحرسها الخصمان ، يحرسها الخصمان ... ماذا تفعل ؟ » .

في المسيرة الطويلة من الانتظار الى الفرح ، يكتشف سرعان ان الانتظار ينظره مرة ثانية في نهاية الرحلة . لذلك يرتفع الصراخ الخافت والتمزق الطويل النفس . ولذلك ايضا يفوتر الشكل ، حتى تكتشف تداعيه الى حوار فقط او الى محاولة جديدة للاقترب مرة ثانية من التحليل ، او التعليق على الافكار الشائعة . هنا يلجأ درويش الى اللغة المباشرة نسبيا ليؤكد التنوعات المبدئية التي من دونها لا معنى للكتابة . « الذهاب الى فلسطين ثورة وحلم امة . والهروب الى فلسطين تجريد وذريعة . فلسطين ليست جغرافيا فحسب ، انها عافية تاريخ ، وحيوية ثورة ، ومخالفة مستقبل . والهروب الى فلسطين استعادة ذكريات وبكائيات عاطلة عن الفعل » .

### شكوى الشهيد الفصيح

حين تستكمل الدائرة جميع عناصرها ، يقف الشهيد وحيدا ليشكو ويشهد . من دون هذه الشهادة لا تتوحد العناصر . هنا تأتي الصرخة النهائية لتؤكد شدة الارتباط بالحلم وعمق هذا الارتباط . والحلم لا يأتي عاريا ، يجيء مجبولا بعرق الفقراء الذين يتوج دمهم هامة الوطن «شعرنا بثلج الخجل يا سيدي الوطن ، ورضينا ان لا يكون لنا من نصيب فيك الا بيوت من طين ، وموت جميل لا يأتي ، ومجاعة دائمة » . هكذا تأتي الشكوى مجبولة بالحب . وتستطيع اللحظة التسجيلية الاقتراب من شروط العلاقة الانسانية ، لتقيم داخل هذه الشروط اصواتنا تحمل هموم المستقبل من داخل مشكلات الحاضر .

الدائرة الكاملة التي يقيمها درويش ، تعطي